

أننا لا نستطيع أن نعلل معرفتنا القبلية بالأشياء إلا بافتراض أن العقل الإنساني قد خلع عليها إطارا لم يكن لها بد من الدخول فيه . أما هيجل فقد رفض تصور الأشياء في ذاتها التي تستحيل معرفتها ، لأن الموقف الكانتي سينتهي إلى أن يستبقى العقل وموضوع التجربة لا غير ، وإذا دعا هيجل إلى سبق الذات على الموضوع ، فقد قال بالعلاقة الجدلية بينها ، فكل منهما يستلزم الآخر .

وسنشير أخيرا إلى نقطتين بإيجاز شديد . أولاها : تفرقة ( كانت ) بين التصور والتخيل ، فالتصور أو التعقل قوة فكرية يلتفت فيها العقل صوب ذاته وينظر فيما يحتوى عليه من أفكار ، أما التخيل فإن العقل يلتفت فيه إلى الأجسام الحسية ، ليكتشف ما فيها من تطابق حسي مع الفكرة التي كونها بنفسه أو تلقاها عن طريق الحواس<sup>(٣٩)</sup> . والثانية : أن العالم عند الماديين جهاز ضخيم معقد ، لكن كل شيء فيه يمكن إدراكه بفكرة السببية ، ويمكن الربط بين جزئياته المترامية العدد كالذرات . أما عند المثاليين ، ويمكن أن ننظر إلى برجسون ( ١٩٤١ م ) كثمرة لجهود سابقة ، وأيضا كأقوى مؤثر في الفكر النقدي من المثاليين ، وقد فرق برجسون بين الخبرة الخارجية الآلية الجزئية ، والخبرة الداخلية النابعة من الذات ، والمدججة في زمن الديمومة حيث يختلط « الآن » بما قبل وبما بعد في زمان واحد ، فزمان الديمومة ليس مجرد طريقة لقياس الواقع المتغير ، لكنه الواقع المتغير ذاته ، وهو لا يدرك عن طريق التحليل أو التفتت ، بل عن طريق الحدس intuition وهو نوع من الكشف الروحي أو المعرفة الوهلية ، احتاج برجسون إلى لغة مجازية لشرحه ، وهذه صلة قرابة بين المعرفة الحدسية وشعور الفنان تجاه الأشياء ، وقد كان كروتشه ( ١٩٤٥ ) أهم فلاسفة النقد الذين حولوا المثالية إلى نظرية جالية مجالها التعبير الفني .

وقد سمي كروتشه مذهبه العام بفلسفة الروح ، والروح في نظره هي الوجود الحقيقي الوحيد ، وليس الوجود الطبيعي إلا تركيبة من تأليف العقل ، لكن الروح ليست شيئا ما مفارقا للخبرة لأن كروتشه لا يرتضى لنفسه أن يتأمل متفلسفا فيما يجاوز الخبرة . وإذن فالروح هي العالم ، وتاريخ الروح هو تاريخ الخبرة البشرية ، وخبرات الروح متعددة بين الجزئي والكلّي ، والعملّي ، ويتمى علم الجمال إلى عالم الخبرة الإدراكية ، التي ندرك بها ما هو

(٣٩) ديكاوت : التأملات . ص ٢٢٨ كالفارق بين صورة المثلث المتعلقة ، أي مثلث ، وتخيّل مثلث يرى حاضرا بجهد

ذهني خاص هو التخيل .